

التعددية اللغوية في الجزائر بين مقتضيات السياسة اللغوية وإكراهات العولمة

¹- د/ شيبان سعيد* ، ²-أ.د/ نوار بوعياذ

1- جامعة بجاية

chibanesaid@yahoo/fr

2- جامعة بجاية

nouarabouayad74@yahoo.fr

التّشر: 2021/06/06

القبول: 2021/02/02

الإرسال: 2020/11/21

الملخص: إنّ الرّابط اللّغوي المستقرّ بين اللّغة والواقع مفهوم غير واضح في واقعنا نتيجة هذه الأوضاع اللّغوية والمشاكل التّفسّية وما تولّده من مركبات إزاء اللّغة ؛ منها مركب التّقص عند البعض ، ويتّضح جلياً في ظاهرة فقدان التّثقة بمستقبل اللّغة العربيّة والقنوط من سيطرتها على زمام العلم والمعرفة. ومنها مركب الاستلاب (Aliénation) والتّنكّر ؛ ويتجلى عند البعض في سلوكات عديدة أخطرها التّبجّح والمباهاة بكلّ ما هو أجنبي في الاستعمال اللّغوي . تأسيساً على هذه المتعاليات ، يجب اقتراح مجموعة من الإجراءات إزاء إرساء سياسة لغوية رشيدة في الجزائر ، والتي يمكن أن تُنتهج بطريقة علمية ، متّكئين على جهود الأخصائيين في اللّسانيات ، وعلم التّفّس ، وعلم الاجتماع ، ودوائر علمية أخرى. وتقتضي سيرورة هذا العمل تحديد وظائف كلّ لغة ، انطلاقاً من الواقع ، هذا من جهة. ومن جهة أخرى ، ينبغي استغلال العديد من الآليات التي تسمح لنا بمواكبة العولمة وافرازات التّورة الإستمولوجية. وهذا ما نروم معاينته وتحليله في هذه الدّراسة التي تتضمّن تحديد المفاهيم الأساسيّة (التّعدد اللّغوي ، السّياسة اللّغوية ، التّخطيط اللّغوي والعولمة) ، ثمّ الإجابة عن التّساؤل الآتي: بأيّ تخطيط لغويّسنواجه تحديّات العولمة دون المساس بمقومات الهوية

* المؤلف المرسل.

ومعالم الثقافة في الجزائر؟ وفي الختام اقترحنا بعض الإجراءات والتدابير الميدانية لمواجهة هذا الوضع وتكييفه مع مستلزمات العصر.

الكلمات المفتاح: التعدد اللغوي ، السياسة اللغوية ، التخطيط اللغوي ، الهوية والعولمة.

Plurilingualism in Algeria between the requirements of language policy and the constraints of globalization

Abstract :The link between language and reality often seems incomprehensible given the psychological constraints and the complexes developed towards the language of others. Especially the inferiority complex developed in some cases, which makes them skeptical of seeing the Arabic language come into tune with science and knowledge. This situation prompts us to recommend a set of procedures to establish an adequate language policy in Algeria based on scientific criteria and inspired from the work of specialists in linguistics, psychology, sociology and other scientific spheres. Starting from these bases, it will be necessary to exploit several mechanisms that allow us to join globalization and the epistemological revolution. This study tries to highlight certain concepts (plurilingualism, language policy, linguistic planning, globalization), this leads us to ask this relevant question, with which linguistic planning can we approach globalization without altering the components of our identity and our cultural references in Algeria? In the conclusion, we thought it useful to recommend certain concrete proposals to deal with this linguistic situation and to adapt it to the requirements of the situation.

Key terms: plurilingualism, language policy, language planning, identity, globalization.

1- **مقدمة:** تشكّل اللغة العالم المعرفي للإنسان ، وهي الأساس في تشكيل أنماط سلوكه وطرائق تفكيره ، وطموحاته ونظراته إلى الآخرين. إنّ كفاية الإنسان للحياة ، تعني ببساطة القدرة على أن يتكلّم ويكتب ويسمع ويقراً بطريقة تُوطّد أواصر التعايش السلمي بين الناس.

إنّ ارتباط الجماعات الناطقة بروابط الحضارة أو التجارة ، أو تنازعهما حضارياً أو سياسياً ، أو دينياً يرسم أثاره على اللغات بفعل عوامل التأثير والتأثر ، فالاحتكاك بين اللغات يعدّ نتيجة حتمية للتواصل بين المجتمعات وما يكتنفها من مقومات حضارية ، وأنجاهات فكرية ، وأنشطة اجتماعية أو اقتصادية ، ومن ثمّ يختلف ما تأخذه لغة عن أخرى باختلاف العلاقات التي تربط بين الشّعبيين الناطقين ، وما يُتاح لهما من فرص الاحتكاك المادي والثقافي ، فكلّما قويت العلاقات التي تربط أحدهما بالآخر وكثرت فرص الاحتكاك والتواصل ، نشطت بينهما حركة التبادل اللغوي. وهذه الفاعلية المترتبة عن التأثير والأخذ ، هي التي تعين في عصرنا على التمكن من لغة التكنولوجيا والعولمة في إطار ما يُعرف بالأمن اللغوي (La sécurité linguistique).

وقد يؤدّي هذا الاحتكاك إلى صراع لغويّ يكون على صعيدين ؛ الصعيد الخارجي أي مع اللغات الأخرى ، والصعيد الداخلي أي اللغة مع نفسها حين تعدّدت لهجاتها بفعل اختلاف البيئات (العربية ولهجاتها في المشرق والمغرب مثلاً) ، وما صاحبه من اتجاه الألسنة إلى الاختلاف بين القبائل في النطق ، وازداد هذا الاختلاف بتفرّع القبائل ، حتّى وصل إلى نطاق الألفاظ ومعانيها ، وهذه اللهجات تتباين من حيث اللطواهر الصوتية ، والدلالية ، والتركييبية. وغني عن البيان أنّ التطور اللغوي لا يتمّ عن طريق الانتقال المفاجئ من وضعية قديمة إلى وضعية جديدة ، ولا يمكن اعتباره إجراء واحداً يأتي أكله في سنوات قلائل ، بل إنّها عملية طويلة ، تستغرق مئات السنين من الزمن.

تروم هذه الدراسة تقصي الواقع اللغوي الجزائري في ضوء تحديات العولمة من خلال استقراء مجموعة من المفاهيم والقضايا السوسيو لسانية ذات الصلة الوطيدة بالموضوع ، وتبيان علاقتها بالعولمة ومقتضياتها الجيو السياسية والثقافية واللغوية.

2- اللغة والهوية

يرى علماء اللسانيات أنّ اللّغة والهوية وجهان لعملة واحدة ، إذ يمكن تأسيس الكيانات الاجتماعية والسياسية على أساس لغوي ، ومن هنا تأتي خطورة المكوّن اللغوي (Le composant linguistique) في تحقيق أو زعزعة الاستقرار السياسي للمجتمعات. فاللغة التي يتكلمها شخص ما وهويته كمكلم لهذه اللّغة أمران لا ينفصلان. إنّها بالتأكيد جزء من المعرفة الموعلة في القدم ، قدم اللّغة الإنسانية نفسها.

إنّ أفعال اللّغة (les actes delangages) في حقيقتها هي أفعال للهوية ، ممّا يشي بعلاقة الترابط بين اللّغة والهوية ، وبمقتضى هذه المعادلة ، فإنّ سمة واحدة لاستعمال اللّغة تكفي لتعيين علاقة شخص ما بجماعة ما¹.

3- التّعّد اللّغوي

لقد حظي مفهوم "التعدّد اللّغوي" وهو المقابل العربي للفظ الأجنبي (Multilinguisme) - باهتمام كبير ليس في الدوائر الأكاديمية من خلال أدبيات اللسانيات الاجتماعية فحسب ، ولكن من خلال دوائر غير أكاديمية أيضا ، بالنظر إلى العلاقة الوطيدة بين مفهوم التعدّدية اللّغوية وقضايا التنمية والعولمة. إذ أعلنت الأمم المتحدة سنة 2008 عامًا دوليًا للتعدّدية اللّغوية ، ومن ثمة توالى عدة طبعات للمؤتمر الدولي "التعدّدية اللّغوية والتنمية" برعاية من اليونسكو (2008 في نيويورك ، 2009 في ساو باولو ، و2010 في الإسكندرية)².

التعدّد اللّغوي مفهوم ((يصدق على الوضعية اللسانية المتميزة بتعايش لغات وطنية متباينة في بلد واحد ، إما على سبيل التساوي إذا كانت جميعها لغات عالمية كالألمانية والفرنسية والإيطالية ، في الجمهورية الفدرالية السويسرية ، وإما على سبيل التفاضل إذا تواجدت لغات عالمية كالعربية بجانب لغات عامية مثل الهوسا والغورمانشه والسونازارما والتماشيق والفولفولده والتوبو في جمهورية النيجر))³. فالتعدد اللغوي هو استخدام لغات مختلفة استخداما رسميا بالتساوي أو بالتفاضل.

يرى الباحث محمد بسناسي أنّ التعدّد اللّغوي بمفهومه البسيط ((يقضي تعايش أكثر من لسان في حيّز مكاني واحد ، و"التعدد اللغات هو من يتكلم أو يمتلك عدة لغات"...وهو مرتبط أيّما ارتباط بالتعدد الثقافي ، وقد "ظهرت التعددية الثقافية في الخطابات العامة في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات من القرن العشرين ، عندما بدأت كل من استراليا وكندا

في التصريح بتأييدهما لها⁴). فالتعدّد اللغوي في أبسط تعاريفه إذن ، هو استخدام أكثر من لغة في التواصل والتعامل داخل المجتمع ، ولكل لغة من هذه اللغات حمولة ثقافية تصدح بمكوناتها ، مما يشي بفكرة ارتباط التعدّد اللغوي بالتعدّد الثقافي.

و في السياق ذاته ، يرى جان لويس كالفي (jean louis calvet) أن التعدد اللغوي ظاهرة طبيعية آلت إليها شعوب العالم بحكم اختلاف المكونات الثقافية والحضارية ((... فلأنّ العالم متعدّد ، ولأنّ التعدّد اللغوي هو الأصل ، ولو كان يمكن للعالم أن يكون أحادي اللّغة لما حدث فيه صراع ؛ ومن هنا وهُمّ الحلّ المسالم في ابتداع لغة اصطناعية عالمية كلفة الإسبيرنتو ، أو كاللّغات المصطنعة الأخرى ، إنّه وهُمّ يخالف حقيقة جوهرية في اللّغة: حقيقة التعدّد⁵))، فالتعدّد اللغوي استنادا إلى هذا الطرح ، ظاهرة سوسiolسانية ممثلة في مجموعة من اللغات الموجودة في مجتمع ما ، متعايشة جنبا إلى جنب ، وهو تعايش طبيعي بفعل الاحتكاك أو الاستعمار أو عوامل أخرى تسببت في بروز أنظمة لغوية عدّة داخل مجتمع واحد. وللتعدّد اللغوي عدّة أشكال:

– التّعدّد اللّغوي الرّسمي: يتمّ التّصريح به رسميا ؛

– التّعدّد اللّغوي القائم بحكم الواقع ؛

– تعدّد لغويّ مبنيّ على مبدأ الإقليميّة.

ويمكن التّمييز أيضا بين تعدّد لغويّ متماثل ، أين نجد كلّ اللّغات في وضعية متساوية ، كما هو الشّأن في سويسرا ، فكّل لغة من اللّغات الوطنيّة- الفرنسيّة ، الجرمانية والإيطالية- متساوية رغم الاختلافات الجوهرية في عدد المستعملين ، كما نجد تعدّدا لغويا لا متماثلا ، حيث تصادف لغة واحدة من اللّغات على الأقل ، لها أكثر من وضع اللغات الأخرى⁶ ، على نحو ما نجده في الجزائر.

4- السّياسة اللّغوية والتّخطيط اللّغويّ

يفترض وجود السّياسة اللّغوية (Politique linguistique) قديما ، قدم التّعدّد اللّغوي . فالتّاريخ يشهد على تدخّل الإنسان في اللّغات قبل أن يضع علماء اللّسانيات الاجتماعيّة هذا التّدخّل تحت اسم "السّياسة" أو تحت اسم "التّخطيط" ، بزمن طويل . ترتبط هذه المصطلحات (السّياسة اللّغوية ، التّخطيط اللّغوي والتّهيئة اللّغوية) كلّها بالتّمية الشّاملة بكلّ مستوياتها الاقتصاديّة والاجتماعيّة والثّقافيّة في المجتمع المتعدّد الثّقافات واللّغات على

وجه الخصوص ، قصد تعزيز النّظام التّواصلي بين أفراد المجتمع. فكلّ دول العالم ((تتبني سياسات لغوية حسب الخصوصيات المحليّة للوضع السوسولوجي للمجتمعات ، قد تكون هذه السياسات مُعلنة أو غير مُعلنة...))⁷. وعليه أضحت السياسة اللغوية ضرورة استراتيجية تمليها مقتضيات الوضع السوسولوجي لكل دولة ، لغرض تحديد وظيفة اللغات الوطنية والأجنبية.

فالسّياسة اللغوية هي ((مجهل الخيارات الواعية المتّخذة في مجال العلاقات بين اللّغة والحياة الاجتماعية ، وبالتحديد بين اللّغة والحياة في الوطن))⁸. فهي مرتبطة أساسا بالتمطّ المُعتد من قبل الدّولة ، لكنّ هذا لا يعني عدم وجود سياسة لغوية عابرة للحدود (جماعة الصم والبكم) ، أو محصورة بجماعة أصغر من الدّولة (سكان منطقة بريطانيا (la Bretagne) الفرنسية.... فالسياسة اللغوية هي كلّ سياسة تعتمد الدّولة الوطنية ، أو أي منظمة إقليمية ، أو دولية بشأن لغة معينة ، قصد تغيير الوضع اللغوي نحو الأفضل ، أو من أجل تسوية الوضع بين لغتين أو أكثر.

تكمّن المرحلة الأولى لإرساء أيّ سياسة لغوية في "إيجاد الوقائع" ، حيث يتحقّق لواقع السّياسة من ((الوضع الموجود للتأكد من المشاكل ، كما يتصوّر الأشخاص الذين سينفذون المخطّط والأشخاص الذين يستهدفهم هذا المخطّط))⁹. فكلّ وسائط المجتمع (Les intermédiaires sociaux) ينبغي أن تكون محلّ فحص ومعاينة اجتماعيا ، ثقافيا ، سياسيا واقتصاديا. وعلى المخطّط أن يكون مدركا للتّوجّه الاجتماعي لأيّ من هذه الوسائط.

عادة ما نجد الدوائر السّياسة في أصل التّداول العربي تدور حول معاني الرّعاية والمصلحة ، وفي الاصطلاح ، تفيد القيام بمسؤولية الإدارة والرّعاية للجماعة السّياسة بما يجلب لها المصالح ، وحينها تقترن باللّغة ، فتعني ببساطة ((المواقف الرّسمية التي تتّخذها الحكومات تجاه استعمال اللّغة ورعايتها ، سواء كانت هذه المواقف مدعومة بالفعل كإقرار القوانين أو تمويل البرامج ، أو كانت مدعومة بالخطب والقرارات المنمقة على الورق))¹⁰. فالسياسة اللغوية عبارة عن نوع من التّعامل الرّسمي لأجهزة الدّولة مع اللّغة أو اللّغات المستعملة داخل كيان سياسي معيّن ممثّلا في الدّولة. فاعتبار العربية لغة رسمية ووطنية في الجزائر ، والأمازيغية لغة وطنية (2008) ولغة رسمية (2016) يدخل في إطار السّياسة اللغوية.

يحدد الباحث اللساني دينيس أجير (Dennis Ager) نوعين من السياسات اللغوية¹¹ :

نوع يركز في تصوره وأهدافه على ضرورة الوحدة الوطنية والوفاق الاجتماعي ، ولأجل تحقيق هذا يتم التركيز على لغة واحدة ممثلة في اللغة الرسمية ، أما بقية اللغات تبقى على هامش التداول ؛

- نوع يتميز باعتماد تصوّر أرحب لمفهوم الوفاق الاجتماعي حيث الاعتقاد بأنّ قوة المجتمع في تنوعه ، لكنّ هذا التّصوّر يبقى عادة في المستوى النظري فقط .
وغني عن البيان أنّ السياسة اللغوية يتحكّم فيها عاملان إزاء الوضع الاجتماعي المتعدّد اللغات والثقافات ، وهما¹² :

● **عامل المكان:** تقوم السياسة اللغوية على علاقة اللغة بالمكان وتوزيعها حسب الأقاليم التي تكوّن جغرافية الدولة ، فلكل إقليم لغته وثقافته ، نجد هذه السياسة اللغوية معتمدة ومنتجة في سويسرا وكندا وبلجيكا ؛

● **عامل الحرية الفردية:** تعتمد السياسة اللغوية على مبدأ الحريات الفردية ، حيث تقرّ الدولة بتعدّد اللغات الرسمية التي تستخدم بالتساوي في مؤسسات الدولة ، وللمواطن الحقّ في استخدام اللغة التي تناسبه ، فالاستعمال اللغوي في هذه الحالة هو اختيار حرّ من منظور عدّة أنساق لغوية متاحة يلجأ إليه المتكلّم .

فكرة توحيد اللغة تشبه في خطورتها هيمنة العولمة التي تنادي بتوحيد أنماط الحياة وفقا لتصورات الدول القوية ، وهو تصور يوحى بهيمنة التمرکز الغربي (Ethnocentrisme) occidentale. إن الجهود الرامية إلى التوحيد اللغوي في الجزائر ، على الرغم من نجاحها إلى حدّ بعيد ، إلا أنّ اللغة الأمازيغية ظلّت حاضرة بقوة في الدوائر السياسية والثقافية . ولذلك لجأت الدولة إلى اعتماد سياسية لغوية تعترف بالتعددية ، فتجسّدت مساعيها في اتخاذ القرارات التالية :

- الاعتراف بالحقوق اللغوية للأمازيغ وحرّيتهم في استعمال لغتهم وكتابتها وتدريسها وتطويرها ؛

- تشجيع الجمعيات الأمازيغية ذات البعد الثقافي ؛

- تشجيع البحوث الأكاديمية في هذا المجال ؛ من خلال فتح مراكز بحث وطنية وأقسام للغة والثقافة الأمازيغية ؛

-الدعوة إلى فتح نقاش علمي وأكاديمي جاد حول إعادة النظر في مكونات الهوية

الثقافية... الخ.

أما التخطيط اللغوي (Planification linguistique)، فيقصد به طريقة التدخّل في تنظيم البنية اللغوية وتقييسها (Standardisation)، ثمّ توسّع هذا المفهوم في نهاية الستينيات، ليشمل كلّ تدخّل ممنهج يسمح بإيجاد حلول ناجعة للمشاكل الناتجة عن الوضع اللغوي الاجتماعي لمجتمع لغوي معيّن، فهو تطبيق فعلي لسياسة لغوية بعينها، أي الانتقال إلى العمل / التطبيق.¹³

وعلى صعيد مماثل، قد يكون التخطيط على حدّ تعبير جان لويسكالفي ((هو البحث عن الوسائل الضرورية لتطبيق سياسة لغوية وعن وضع هذه الوسائل موضع التنفيذ))¹⁴. ويستلزم تنفيذ هذا التخطيط اللغوي، افتراض وجود سياسة لغوية، لأنّ ثمة خيارات لغوية لم تطبق، وهذا ما يحدث مع الأمازيغية في الجزائر، فهي لغة وطنية، لكنّ هذا تأكيد رمزي لوجود فئة أمازيغية.

تأسيسا على ما سبق، تقتضي فكرة التخطيط اللغوي ثلاثة أمور قاعدية¹⁵:

- اللغة متغيرة، وهذا لا جدال فيه، فتاريخ اللغات حاضر لإثبات ذلك؛
- العلاقات بين اللغات قابلة للتغيير؛
- الإنسان قادر على التدخّل في تغيير اللّغة، وتغيير العلاقات بين اللغات.

لا تحقّق السياسة اللغوية أهدافها المرجوة إلا بوجود خارطة لتخطيط استراتيجي جاد، أي توفير الوسائل الكفيلة بتطبيق هذه السياسة أو تنفيذها. ولذلك أريد لهذا التخطيط اللغوي أن يكون إجابة منظّمة ومنهجية تستند في آن واحد إلى تصوّر سياسي، وإلى إطار نظري علمي، وعلى هذا الأساس فهو يخضع للإجراءات الآتية¹⁶:

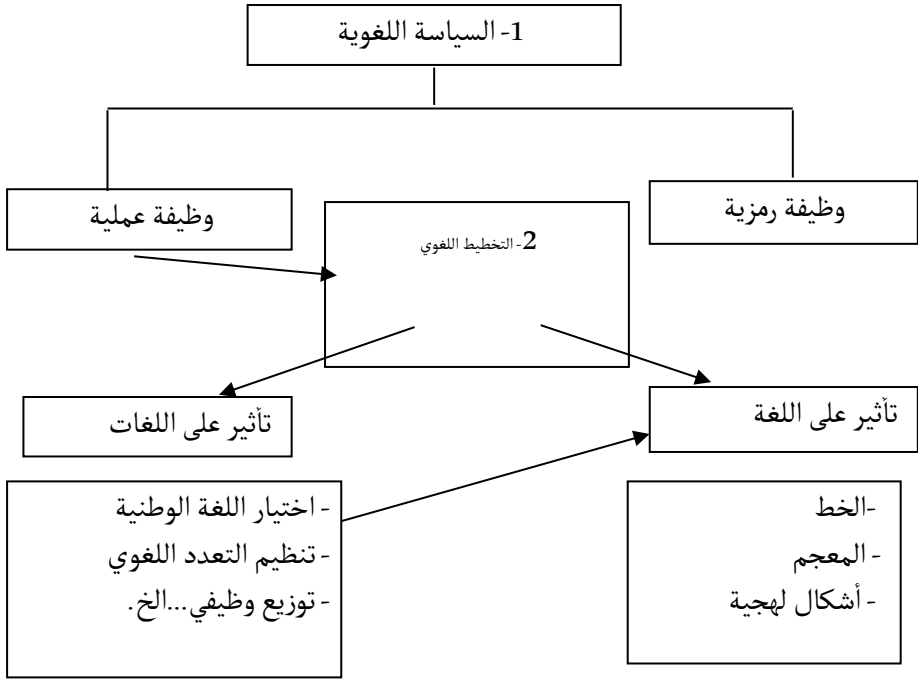
- التّرقية اللّغوية: تصفية النّظام اللّغوي من العناصر اللّغوية الدّخيلة؛
- ترقية اللّغة أو الإصلاح اللّغوي: وهو إجراء يسعى إلى ترقية لغة بذاتها من بين مئات اللّهجات أو اللّغات المستعملة في مجتمع معيّن؛
- إحياء اللّغات الميّتة: وهو إجراء يسعى لإحياء لغة مهجورة في إطار مشروع حضاري؛
- إحلال اللّغات الوطنية محلّ اللّغات الأجنبية في التّعليم: وهو إجراء ساري المفعول في الدّول التي تحرّرت من ربة الهيمنة الأجنبية؛ تركيا على سبيل المثال؛

● تحديث المفردات: يهدف هذا الإجراء إلى تكوين رصيد أو ذخيرة لغوية وتحديثها باستمرار معنشرها وتعميم استعمالها ؛

● الدفاع عن منزلة ما: المنافسة بين اللغات (propagande linguistique) ، بفعل القوة الاقتصادية كالإنجليزية والفرنسية... الخ ، أوبعدد الناطقين بها كالإسبانية والعربية... الخ. ترنو السياسة اللغوية (والتخطيط اللغوي من ورائها) إلى التأثير في شكل اللغة ، أي إلى تنميط اللغة الوطنية وتقييسها ، وينصب هذا التأثير على ثلاثة مستويات: مستوى الخط ، مستوى المعجم ، ومستوى الأشكال اللهجية¹⁷ . ويمكن للسياسة اللغوية التدخل أيضا في العلاقات بين اللغات في أوضاع التعدد اللغوي ، حين يجب اختيار لغة وطنية ، أو اختيار لغات التعليم ووسائل الإعلام... الخ.

يقترح لويس جان كالفي مخططا يوضح فيه المفهومين (السياسة والتخطيط) ووظيفة كل واحد منهما ، على الشكل التالي¹⁸ :

مفهوم (السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي)



المصدر: كافي ، 2008 ، ص 224.

- التخطيط

- اللغوي والتعدد اللغوي

لا ريب أنّ التعدّد اللغويّ أمر واقع ، فمن الصّعب أن تجد دولة أو مجتمعا يتحدّث بلغة واحدة ، ويتعيّن على كلّ سياسة لغويّة أن تعمل على تأكيده بدل محاربه ، لأنّ موت اللّغة خسارة لا يمكن أن تُعوّض ؛ أجمع اللّسانيون على هذه الفكرة في المؤتمر الدّولي للسانيات الذي أقيم بإقليم كيبك ، وألحوا على اليونسكو تمويل مشاريع لحماية اللّغات المهدّدة بالانقراض عن طريق تصنيف قواميسها ، وتقييد نصوصها¹⁹ . فيمكن للسياسات اللّغوية

ومواقف الجماعات تقوية وتدعيم أو رفض التعدد اللغوي ، أو منح وضع خاص للغة واحدة أو أكثر ، وعندما تسوغ السياسات اللغوية لإعلاء التعدد اللغوي ، فإن الحافز قد يكون²⁰ :

- اجتماعيا: لفائدة المساواة لكل المجموعات ؛

- ثقافيا: لتسهيل المحافظة الثقافية ؛

- سياسيا: لضمان مشاركة الجماعات ... ؛

- اقتصاديا: التمكّن من ربط أصول اللغة بأفضلية ميزان الأداءات للدولة.

اعتمدت الجزائر العربية كلغة رسمية ووطنية شأنها في ذلك شأن الأمازيغية ، أما بقية اللغات الأخرى (الأجنبية) ، فنجدها متفاوتة الاستعمال في مجالات أخرى متعددة ، ونخص بالذكر مجال التعليم بمختلف أطواره.

تنغيا السياسة اللغوية في الجزائر اعتماد هذه "الثنائية اللغوية الوطنية" عربية أمازيغية ، لحماية "التوازن" بين العربية والأمازيغية التي مالت باتجاه العربية في معظم مراحل تاريخ الجزائر (خاصة بعد الاستقلال) لأسباب سياسية ترتبط أساسا بالحفاظ على السيادة الوطنية وتغليب المصلحة العليا للوطن.

تشجّع التعددية اللسانية ((تعايش مجموعات لغوية مختلفة وحققها في صيانة ورعاية لغاتها على أسس عادلة))²¹ ، وتبدو السياسة القائمة على التعددية اللغوية أنها طريقة ديمقراطية للتعامل مع الوجود المشترك للتنوعات اللسانية. ولما كانت اللغة تؤدي دورا أساسيا في التفاعل الاجتماعي، فهي وسيلة هامة في انتقال القيم الثقافية والاجتماعية ؛ يقتضي التخطيط اللغوي سياقاً ، حيث تقام الاختيارات بين البدائل. ويجب أن تكون هذه الاختيارات من طبيعة مختلفة عن تلك التي قُدمت حول التحوّل الطبيعي ، فالتخطيط اللغوي يتعلّق أساسا بالاختيارات الواضحة.

ولأنّ الاختيار معقّد في المجتمعات المتعدّدة اللّغة ، حيث يمنح للمتكلّمين الاختيار بين مختلف اللّغات ، يبرز التخطيط اللّغوي كنشاط متعلّق بالمظاهر الداخليّة للّغة ، أي إعداد الكتابة المعيارية ، والتّحو ، والمعجم لتوجيه الكتاب والمتكلّمين في العشيرة اللّغوية غير المتجانسة.

تكمن المهمّة الأساسية للمخطّط اللّغوي داخل العمل الاجتماعي للّغات المتنافسة في اختيار أنماط التّدخلات ، بفرض ضبط وتحسين اللّغات الموجودة أو خلق لغات جهوية

ووطنية ودولية مشتركة جديدة. فالتخطيط اللغوي يشمل كلا من المظاهر اللسانية والسوسiolسانية، والسياسية والاقتصادية المتعلقة بإدماج اللغة في المجتمع.²²

5- العولمة والسياسة اللغوية في الجزائر

العولمة ((نظام عالمي يقوم على العقل الإلكتروني والثورة المعلوماتية القائمة على المعلومات والإبداع التقني غير المحدود، دون اعتبار للأنظمة والحضارات والثقافات والقيم والحدود الجغرافية والسياسية القائمة في العالم))²³. تحاول العولمة صياغة العالم وتشكيله بوصفه حالة واحدة، وهي تتجاوز مجال الاقتصاد إلى مجالات أخرى كالثقافة واللغة، فالعولمة اللغوية تتجلى في تزايد الاهتمام باللغة الإنجليزية وتعلمها، وتهميش اللغات الأخرى في المجالات السياسية والاقتصادية والعلمية، لتحل محلها الإنجليزية.

العولمة ظاهرة موضوعية أملت الظروف الاقتصادية والتطور في مجال الإعلاميات، فهي ليست فلسفة أو أيديولوجية حتى نقف منها موقف الرّفص، لأنّ الظواهر الموضوعية تخضع للإرادة الإنسانية. فالمحافظة على اللغات وحمايتها ينبغي أن تتحول إلى إستراتيجية عالمية تستفيد من إنجازات العولمة (التقنيات الإعلامية المتطورة وعولمة قيم حماية حقوق الإنسان ومنها الحقوق اللغوية)²⁴.

لم تتوقف ممارسة السياسات اللغوية والتخطيط اللغوي للدول الاستعمارية عند تقاسم دول العالم الثالث من المستعمرات السابقة لغويا بين الفرنسية والإنجليزية، بل امتد إلى العولمة اللغوية التي أعادت بموجبها الولايات المتحدة وبريطانيا هيمنة اللغة الإنجليزية، فدعمت تعليم اللغة الإنجليزية في جميع دول العالم دعما ماديا ومعنويا. فأضحت الإنجليزية لغة للعولمة العلمية والاقتصادية والثقافية والسياسية والتعليمية.

لقد أدركت القوى العظمى التي تفرض هيمنتها الاقتصادية على العالم اليوم مكانة وسلطة اللغة. فالمنافسة الاقتصادية بين هذه القوى ترافقها منافسة لغوية معززة بمدّ ثقافي وإعلامي عابر للقارات باستخدام جميع الوسائط الفاعلة²⁵:

- الوسائط السمعية البصرية ؛
- وسائط الحوسبة والرقمنة ؛
- وسائط الإعلام والاتصال.

إنّ بسط التّفوذ اللّغوي في عالمنا اليوم ، لا يمكن أن يكون بنفس التّأثير من دون وسائل الإعلام ، إنّها تخبر وتؤوّل ، وتسلي وتربي ما هو خارجها. وهي مرايا لـ " الواقع " ، أو جزء من الأحداث نفسها²⁶ . فالّتواصل الإعلاميّ يرتبط باللّغة والرّموز السيميائية الأخرى للمجتمع ويعمل على ترفيتها والترويج لمكوناتها على نطاق واسع.

لقد أضحت اللّغات مرتكزا استراتيجيا في المسار التّحويلي للحضارة الإنسانية الجديدة ، فلا يمكن لأيّ مجتمع أن يحقق أهدافه الاستراتيجية على المستوى الاجتماعي والثّقافي والاقتصادي بمعزل عن لغته الوطنية ؛ لأنّ نهضة الأمة ترافقها دائما نهضة لغوية. فاللّغة الانجليزية لغة العولمة الرّئيسة ، تؤدّي وظيفة مهمّة في زمن العولمة ، وأصبحت في القرن العشرين لغة تخاطب عالمية²⁷ .

أخذت اللّغة في عصر العولمة تضطلع ببعْد اقتصادي جديد إلى جانب البعد الثّقافي والحضاري الذي كانت تضطلع به دائما. وبما أنّ اللّغة عنصر مهمّ من عناصر الثّقافة ، فقد تأثّرت اللّغة العربيّة بالعولمة الثّقافية في عدّة جوانب. كتأثّرها بالفردات الوافدة تأثّرًا إيجابيا من حيث ظهور المصطلحات الحديثة والمتطوّرة دلاليا والمعرّبة. لكن في الوقت نفسه ، نجد اللّغة العربيّة بحاجة إلى حصانتها من سلبات العولمة ، ولن يتسنى لها ذلك إلا بتحقيق المساعي التالية²⁸ :

- استحداث تنمية لغوية داخلية ممثلة في التّوحيد المعياريّ اللّغوي ، والتّحديث ، والتّخطيط اللّغوي ؛

- استحداث تنمية داخلية في التّعريب والتّرجمة إلى العربيّة ، وتطوير تعليمها ونشرها ؛

- توظيف إفرات العولمة لخدمة اللّغة العربيّة ، أي توظيف الحاسوب والانترنت والقنوات الفضائية .

إنّ ((حركة اللغة العربية وحيويتها مرتبطة بكيفية تدبير المسألة اللغوية من الداخل والخارج ، أي البحث عن التوازنات اللغوية التي تجعل اللغة العربية في المركز الأول الذي يُدعم باستثمار الازدواجية والتعددية الاستثمار الأمثل ، ويؤسس للسلم اللغوي المبني على سياسة لغوية واعية وهادفة ، وتخطيط لغوي محكم ، واستعداد لغوي داخلي وخارجي))²⁹ ، يجعل العربية لغة المعرفة التكنولوجية ولغة التنمية .

بدأت مظاهر السياسة اللّغوية في الجزائر بانتهاج سياسة التّعريب كأداة مقاومة للاستعمار الفرنسيّ ، وكان التّعريب مرادفا للكفاح والتحرّر من الاستعمار الذي فرض اللّغة الفرنسية على الشّعب الجزائري .

تخضع الجزائر في الوقت الراهن ، ككل المجتمعات الإنسانية للتغير والتطور السريع الذي مسّ مناحي حياتية عدّة ؛ والتي فرضت نفسها على الأفراد وسلوكهم ، ممّا جعلهم يحاولون مواكبة هذا التطور والتغير ، لأنّه لا يوجد مظهر حياتي يظلّ جامدا مدى الحياة ، فمن طبيعة البشر التطلع إلى ما هو أحسن وأفضل وجديد لمسايرة مستجدّات العصر .

عمدت الحكومة الجزائرية إلى نهج سياسة لغوية وفق ما يحتاجه المجتمع (السيادة الوطنية ، الاستقلال الثقافي ، حماية التراث...) ، كما عملت على اتخاذ عدة تدابير هامة في هذا المجال مثل :

- ترسيم اللّغة العربية ؛
- إصدار قانون تعميم التّعريب ؛
- انتهاج ديمقراطية التّعليم ؛
- مسايرة التّوجّه العلمي والتّكنولوجي في التّعليم ؛
- اعتماد اللّغة الأمازيغية لغة وطنية ورسمية ؛
- استحداث هيئات (المجالس والمحافظات والجمعيات) ، لخدمة اللغتين العربية والأمازيغية .

وعلى الرّغم من هذه الإجراءات المتّخذة في الجزائر ودول المغرب العربي ، بقيت الفرنسية ذات سيادة في قطاعات حيوية ، استنادا إلى الرّغم القائل بأنّ الفرنسية لغة الانفتاح والتّكنولوجيا وتحصيل المعارف ، في حين أن اللّغة الفرنسية نفسها تعاني حاليا ممّا تعاني منه اللّغة العربية ، فتبوّأت وضع اللّغة المضطّهدة (statut de langue dominée) ، إذ أصبحت تابعة للإنجليزية لكونها لغة العولمة .

يمكن للغة العربية- والأمازيغية معها- أن تكون لغة عالمية ، وأن تسهم في التّنمية البشرية والتّنمية الاقتصادية ، للاعتبارات الآتية³⁰ :

- قدرة اللغة العربية على استيعاب المفاهيم العلمية والمصطلحات التقنية في المجال التكنولوجي والإلكتروني والرقمي والمجال السمعي البصري ؛
- تزايد الطلب على الأنظمة التقنية المعربة ؛
- تفاعل الثقافة العربية والإسلامية مع ثقافات العالم المختلفة عبر شبكة الإنترنت ، وتنامي رغبة المستخدم العربي في إثبات ذاته من خلال لغته العالمية ، وإقبال غير العرب على برامج تعلمها .

6- الخاتمة

إنّ استشراف رؤية مستقبلية للغة ، يتوقف على قدرتنا ووعينا في تشخيص الواقع اللغوي الزاهن بكلّ موضوعية ، وكذلك حصر التّحديات المستقبلية التي تواجه اللّغة العربية ، في ظلّ التّحوّلات التي يشهدها العالم بفعل حركة العولمة بكلّ أبعادها وصورها. و على المتخصّصين إرساء سياسة لغوية تأخذ بعين الاعتبار الحاجات الاقتصادية والسّوسيولسانية لكلّ الجماعات اللّغوية ، وحماية الأقلية دون المساس بالسّيادة ، لأنّ الإصلاحات اللّغوية ترتبط بالمواقف المتعلقة باللغة ، وبالضوابط المتقاسمة للجماعات اللغوية (اللسانية والبسيكولسانية) ، وبالأحاسيس الوطنية وبالديناميات أو الحركات السّوسيولسانية المرتبطة بالتّغير والتّحول. فالتّخطيط اللّغوي يقوم أساسا على تغيّر السلوك اللّساني والمواقف المنتهجة ، لأنّ التّغير في حد ذاته ، ظاهرة مرتبطة بالزّمن ، وبطرائق تعامل الأفراد والجماعات مع الوضع اللّغوي السائد.

يتساءل "مبارك حنون" في ملتقى حول "الفكر والسياسة": "بأي وضع لغوي نستقبل العولمة؟ وبأي وعي لساني ندخل هذا العصر؟ ويجيب قائلا: ((إنه من المنطقي والمعقول أن: -ننادي بتعدّد لغوي وثقافي حقيقي لا تتصارع فيه اللّغات وتقصي إحداها الأخرى ، بل تكريس تعدّد لغوي تتشارك فيه اللغات وتتعاون وتسد كل منها على الأخرى؛ وفي هذا المضمار ، نريد للأمازيغية أن تتطور و تستفيد من العربية في ما يتصل بكتابتها ؛ كما ينبغي للفصحى أن تستردّ مكانتها ودورها في الإدارة والاقتصاد والتّجارة... وأن تندمج مع التّكنولوجيا ، فتخلق بذلك علاقة ثقافية قوامها الاحترام مع اللغة الفرنسية ؛

-إنّ إصلاح التّعليم الذي يفكر فيه اليوم رجال السّياسة ، إصلاح ناقص ما لم يسبقه أو يواكبه إصلاح لساني ، لأنّ في قلب إصلاح التّعليم إصلاح الوضع اللغوي الفاسد ؛ يجب إفساح المجال للأمازيغية لتطوّر نفسها وتكتسب أهليتها العلمية والميدانية (الخط ، المعيرة والتّحديث...) ، وتقف إلى جانب العربية للاتحاد ضد سلبات العولمة وضدّ إحلال لغاتها محل اللغات المحلية ، لأنه على اللغات الأجنبية أن تخدم اللغات المحلية لأنّ تحل محلها...))³¹. هذه جملة من الاقتراحات التي نستطيع بها استقبال العولمة والدخول في عالم التكنولوجيا ، دون المساس بالهوية ، أو الذوبان في فضاءات لغوية أو ثقافية دخيلة.

7- المراجع

- إسماعيل سيوين علي ، "أثر العولمة في اللغة العربية دراسة وصفية مع تحليل لنماذج مقتبسة من جريدة (الأهرام) ، دكتوراه علوم ، الجامعة الإسلامية العالمية- ماليزيا ، 2005 ،
- بشر كمال ، علم اللغة الاجتماعي مدخل ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 ، القاهرة-مصر ، ، 1997 ،
- بكار عبد الكريم ، العولمة: طبيعتها- وسائلها- تحدياتها- التعامل معها ، ط1 ، دار الأعلام ، عمان ، 2000 ،
- بيومي سعيد أحمد ، أم اللغات دراسة في خصائص اللغة العربية والنهوض بها ، ط1 ، 2002 ،
- تاج الدين المصطفى ، "نحو سياسة لغوية متسامحة في زمن العولمة" ، (www.iasj.net:15/03/2017) ،
- حساني أحمد ، ترقية اللغة العربية بين التخطيط الإستراتيجي والاستثمار المؤسسي ، (www.alarabiainconference.org:19/03/2017) ،
- حنون مبارك ، "الوضع اللغوي بالمغرب في أفق العولمة نحو إيكولوجيا لغوية" ، ملتقى الفكر والسياسة ، بوزنيقة ، 1989 ،
- الشمري عيد عبد الله ، "تعارض المصالح في السياسة والتخطيط اللغوي من الاستعمار إلى العولمة اللغوية" ، الاقتصادية ، ع5888 ، 2009 (www.aleqt.com/19/03/2017) ،
- كالفي جان لويس ، علم الاجتماع اللغوي ، تر: محمد يحياتن ، دار القصة ، 2006 ،
- كالفي جان لويس ، حرب اللغات والسياسات اللغوية ، تر: حسن حمزة ، المنظمة العربية للترجمة ، ط1 ، بيروت-لبنان ، 2008 ،
- كولماس فلوريان ، دليل السوسيولسانيات ، تر: خالد الأشهب وماجدولينالتهبيي ، المنظمة العربية للترجمة ، ط1 ، بيروت-لبنان ، 2009 ،
- لعبيي هادي نهر ، اللسانيات الاجتماعية عند العرب ، عالم الكتب الحديث ، ط1 ، أربد-الأردن ، 2009 ،
- يجيوي عبد الرحمن ، تنمية اللغة ولغة التنمية في الوطن العربي ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، الدوحة ، 2011 .
- عبد الجواد توفيق محمود ، الواقع اللغوي في العالم العربي في ضوء هيمنة اللهجات المحلية واللغة الإنجليزية ، رؤية استراتيجية ، جانفي 2014 ، تاريخ الدخول: 2020/12/10 (https://www.ecssr.ae/wp-content/uploads/PDF/Rua_Strategia/Rua-Issue-05/rua05_120.pdf) ،
- محمد الأوراعي ، التعدد اللغوي انعكاساته على النسيج الاجتماعي ، منشورات كلية الرباط ، ط1 ، المغرب ، 2002 ،
- محمد بسناسي ، "بين مفهومي الصراع اللغوي والسلم بين اللغات" ، مجلة التعريب ، ع52 ، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق ، 2017 ، تاريخ الدخول: 2020/12/10 .
(http://www.alecso.org/nnsite/images/2016files/isdarat/3-7-2017-1-2)
- J.Dubois& al, Dictionnaire de linguistique, Larousse, 2eme ed, Paris 2002-

الهوامش

- ¹ - فلوريان كولماس ، دليل السوسيولسانيات ، تر: خالد الأشهب وماجدولينالنهبي ، المنظمة العربية للترجمة ، ط1 ، بيروت-لبنان ، 2009 ، ص 683.
- ² * أو مرادفه (Plurilinguisme) على حد قول ديوبوا وآخرون في قاموسهم اللساني (J.Dubois& al, Dictionnaire de linguistique, Larousse, 2eme ed, Paris 2002, P318)
- ³ - عبد الجواد توفيق محمود ، الواقع اللغوي في العالم العربي في ضوء هيمنة اللهجات المحلية واللغة الإنجليزية ، رؤى استراتيجية ، جانفي 2014 ، ص 124 ، تاريخ الدخول: 2020/12/10 (https://www.ecssr.ae/wp-content/uploads/PDF/Rua_Strategia/Rua-Issue-05/rua05_120.pdf)
- ⁴ - محمد الأوراغي ، التعدد اللغوي انعكاساته على النسيج الاجتماعي ، منشورات كلية الرباط ، ط1 ، المغرب ، 2002 ، ص 11.
- ⁵ - محمد بسناسي ، "بين مفهومي الصراع اللغوي والسلم بين اللغات" ، مجلة التعريب ، ع 52 ، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق ، 2017 ، ص ص: 64 - 65 ، تاريخ الدخول: 2020 /12/10 (http://www.aleco.org/nnsite/images/2016files/isdarat/3-7-2017-1-2)
- ⁶ - جان لويس كالفي ، حرب اللغات والسياسات اللغوية ، تر: حسن حمزة ، المنظمة العربية للترجمة ، ط1 ، بيروت-لبنان ، 2008 ، ص 19.
- ⁷ - فلوريان كولماس ، دليل السوسيولسانيات ، تر: خالد الأشهب وماجدولينالنهبي ، ص 661.
- ⁸ * للمزيد من التفصيل أكثر ، يُنظر: جان لويسكالفي ، حرب اللغات والسياسات اللغوية ، تر: حسن حمزة ، المنظمة العربية للترجمة ، ط1 ، بيروت-لبنان ، 2008.
- ⁹ ** ظهر هذا المصطلح (Aménagement linguistique) في إقليم الكيبك على يد كوربال (J.C Corbeil) سنة 1977.
- ¹⁰ - أحمد حساني ، ترقية اللغة العربية بين التخطيط الإستراتيجي والاستثمار المؤسسي ، ص 1-18.
- ¹¹ - جان لويسكالفي ، حرب اللغات والسياسات اللغوية ، ص 221.
- ¹² - فلوريان كولماس ، دليل السوسيولسانيات ، تر: خالد الأشهب وماجدولينالنهبي ، ص 949.
- ¹³ - المصطفى تاج الدين ، "نحو سياسة لغوية متسامحة في زمن العولمة" ، ص 1 ، (www.iasj.net:15/03/2017) ،
- ¹⁴ - Dennis Ager, Motivation in language planning and language policy, 2001, Multilingual Matters Ltd, pp177-178. نقلا عن: المصطفى تاج الدين ، "نحو سياسة لغوية متسامحة في زمن العولمة" ، ص 2.
- ¹⁵ - أحمد حساني ، ترقية اللغة العربية بين التخطيط الإستراتيجي والاستثمار المؤسسي ، ص 1-18.
- ¹⁶ - جان لويسكالفي ، علم الاجتماع اللغوي ، تر: محمد بجاتن ، دار القصة ، 2006 ، ص 111.
- ¹⁷ - جان لويسكالفي ، حرب اللغات والسياسات اللغوية ، تر: حسن حمزة ، ص 221.
- ¹⁸ - المرجع نفسه ، ص 226.
- ¹⁹ - عبد الله الشمري ، "تعارض المصالح في السياسة والتخطيط اللغوي من الاستعمار إلى العولمة اللغوية" ، الاقتصادية ، ع 5888 ، 2009 (www.aleqt.com: 19 /03/2017).

- ¹⁷ - جان لوبسكالفي ، حرب اللغات والسياسات اللغوية ، تر: حسن حمزة ، ص 223.
- ¹⁸ - المرجع نفسه ، ص 224.
- ¹⁹ - المصطفى تاج الدين ، "نحو+9 سياسة لغوية متسامحة في زمن العولمة" ، ص 12 ،
(www.iasj.net:15/03/201)
- ²⁰ - فلوريان كولماس ، دليل السوسيولسانيات ، تر: خالد الأشهب وماجدولين النهيبي ، ص 656.
- ²¹ - المرجع نفسه ، ص 939.
- ²² - المرجع نفسه ، ص 934.
- ²³ - عبد الكريم بكار ، العولمة: طبيعتها- وسائلها- تحدياتها- التعامل معها ، دار الأعلام ، ط 1 ، عمّان ، 2000 ، ص 11.
- ²⁴ - المصطفى تاج الدين ، "نحو سياسة لغوية متسامحة في زمن العولمة" ، ص 8 ،
(www.iasj.net:15/03/2017)
- ²⁵ - أحمد حساني ، ترقية اللغة العربية بين التخطيط الإستراتيجي والاستثمار المؤسسي ، ص 1-18.
- ²⁶ - فلوريان كولماس ، دليل السوسيولسانيات ، تر: خالد الأشهب وماجدولين النهيبي ، ص 401.
- ²⁷ - عبد الكريم بكار ، العولمة: طبيعتها- وسائلها- تحدياتها- التعامل معها ، ص 19.
- ²⁸ - سيوين على إسماعيل ، "أثر العولمة في اللغة العربية دراسة وصفية مع تحليل لنماذج مقتبسة من جريدة (الأهرام) ، دكتوراه علوم ، الجامعة الإسلامية العالمية- ماليزيا ، 2005 ، ص 3.
- ²⁹ - عبد الرحمن يجوي ، تنمية اللغة ولغة التنمية في الوطن العربي ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، الدوحة ، 2011 ، ص 3.
- ³⁰ - سعيد أحمد بيومي ، أم اللغات دراسة في خصائص اللغة العربية والنهوض بها ، ط 1 ، 2002 ، ص 10.
- ³¹ - مبارك حنون ، "الوضع اللغوي بالمغرب في أفق العولمة نحو إيكولوجيا لغوية" ، ملتقى الفكر والسياسة ، بوزنيقة ، 1989.